فانهُ يزيد الخلايا الضعيفة ضعفاً اما القوية النشيطة فتقاوم فعلهُ وتكون النتيجة عقم الضعيفة وبقاء القوية وبذلك يظهر نسل الدجاج المكوّن احسن من نسل غيرهِ

هذه خلاصة تعليل الدكتور برل . على انهُ ظهر من تجارب الدكتور ستوكارد في خنازير غينيا المكحولة ان بعض نسلها كان يخرج معيوباً شاذاً عن الاصل خلافاً لما اثبتتهُ تجارب الدكتور برل . ولكن الدكتور برل يعلل هذا الاختلاف وهذا الانحطاط بقولهِ ان العاهات كانت في الجراثيم الاصلية الضعيفة التي لم تقوَ على مقاومة فعل الكحول

أحلام الحشاشين

لو كان شاربو المخدرات يصفون لنا ما يسمعون ويرون لسمعنا طرباً ورأينا عجباً . تقول هذا القول مستدلين عليهِ بحركاتهم واعمالهم فما شئت من ضحك وقهقهة وما شئت من سجع ونظم و«بيع كلام» كما يقولون . والظاهر انهُ خطر لبعض ادباء المغرب ان يخبروا بالتصريح ما يسمعون عن احلام الحشاشين وما يرون باعينهم من دلائل بسطهم وانشراحهم وخلوهم من الهمّ فشرب دي كوينسي الكاتب الانكليزي المشهور الافيون وأولع بهِ فلم يعلق صبراً على فراقهِ فلزمهُ حتى آخر عمرهِ وكتب فيهِ كتاباً عنوانهُ «اعترافات آكل للافيون» . وحذا حذوهُ غير واحد منهم بارد تايلر فانهُ اخرج كتاباً اسمهُ «ارض المشارقة» Lands of the Saracen وصف فيهِ ما خامرهُ هو وصديقاً لهُ اسمهُ هربسون على اثر شرب ملعقة صغيرة من عقّار صنع من اوراق القنّب الهندي والافاويه والسكّر . فلم تمضِ على شربهم اياهُ اربع ساعات حتى عرت هربسون نوبة من الضحك ثم صاح بملء شدقيهِ «الله الله لقد اصبحت وابوراً» ثم بقي ساعتين يخطر في الغرفة التي كان فيها ذهاباً واياباً ويخطو خطوات متساوية ويزفر زفرات بخارية منقطعة كما يفعل وابور سكة الحديد . واذا تكلم قطع كلماتهِ الى مقاطع لفظ كلاً منها بنبرة وهو يحرك يديهِ عن جنبيهِ كانهُ يدير عجلات

اما تايلر فرأى ما هو اغرب من ذلك — رأى نفسهُ واقفاً عند هرم الجيزة الاكبر يحاول الصعود عليهِ واذا هو على قنّتهِ . ثم تطلع الى اسفل فخيل اليهِ ان الحرم مبنيٌّ من قطع من الدخان الانكليزي المعروف باسم دخان كَنْدش . وانتقل بغتة الى الصحراء فرأى نفسهُ يجتازها في قارب مصنوع من عرق اللؤلؤ ومرصّع بجواهر نادرة في حجمها وصفائها . ولم يكن

الاَّ القليل حتى نزل مرةً عضًّا سقط فيهِ الابار يق بعضها الى جانب البعض والسلُّ يتطر منها

ولما اشتدَّ فعل المخدّر عليهِ ازدادت رؤاهُ غرابة وشناعةً فرأى جسمهُ متغوّيًا على اشكال شتّى ومع ذلك لم يسمهُ الاَّ الضحوك وشعر بخفاف شديد في فيهِ وحنجرتهِ كانهما ليسا منهُ او كانهما صنعا من نحاس وخيّل اليهِ ان لسانهُ مبردٌ زجّ في فيهِ . وكان صوت دورتهِ الدموية يدوي في اذنيهِ دويَّ السيل الجارف واندفع الدم الى عينيهِ حتى عاد لا يرى بهما شيئًا . واحسَّ بان قلبهُ يكاد يتصدّع فشق صدرتهُ وحاول عدَّ نبضاتهِ فشعر كأن لهُ قلبين قلبًا يضرب الف ضربة في الدقيقة وقلبًا يضرب منتظماً بصوت خافت . ثم نام ثلاثين ساعة متوالية

وروى جوتييه ان ساغماً كبيراً لم يذكر اسمهُ ساح في الشرق وتناول جرعة كبيرة من الحشيش فكان يرى كلَّ شيءٍ مزدوجًا . ومرت على مخيلتهِ صور اشباح غريبة من الطيور الخرافية التي زعموا انها تمتص دماء المعزى الى الاوز المخطط فالاسود المجنحة فالغول فالعنقاء فطارت امامهُ ارنبات او انسانات في ارض الغرفة كالافاعي . ورأى قروناً مورقة مزهرة وايدي آدميين متصلة اصابعها بنسيج لحمي كايدي البطّ وانساساً بارجل كارجل الكراسي ومقلٍ كوجوه الساعات والنرد كالابراج وسوق كسوق الدجاج وهم يرقصون رقصاً غريباً . وتوهم انهُ بيناه ملكة سبا (بلقيس) تفعل بقلّد امرات الطيور جهد ما استطاع . وكان في خلال ذلك كلهِ حاضر الذهن فتناول ما وصلت اليهِ يدهُ من ظروف المكاتيب وقطع الورق الملقاة على مكتبهِ ورسم عليها صور الطيور والحيوانات الغريبة التي كان يراها . ولما خفت سورة الحشيش رأى انهُ كتب تحت احد هذه الحيوانات « هذا من حيوانات المستقبل » وهو حيوان شكلهُ كشكل وابور سكة الحديد بعنق كعنق الاوزة تنتهي الى فكين كفكي الافعى يقذفان دخانًا . ولهُ ثم آخر ضخم مؤلف من عجلات وبكرات . وابدٍ كثيرة كلّ زوجين منها لهُ زوجان من الاجنحة . وعلى رأس ذنبهِ جلس عطارد احد آلهة الرومان القدماء

وتناول آخر غيرهُ عشر قمحات من الحشيش بحضور صاحب لهُ فصاح بهِ « احذر لئلاَّ تكبّني » فقال لهُ « ماذا جرى بك » . قال « ألا ترى اني دواة فاذا كبتني اندلق الحبر مني واتلف غطاء المكتب الابيض » . وبقي ساعة يتصرف في اعمالهِ كأنهُ دواة فيرفع رأسهُ ويخفضهُ كأنهُ يفتح الدواة ويغلقها ثم ينتفض فيشعر بالحبر في جوانبهِ ويراهُ

ومن اشهر ما يشعر به الحشاشون رؤية الاشياء القريبة عظيمة البعد ورؤية الثواني القصيرة ساعات او اسابيع طوالاً . وهذا الشعور من نوع شعور الحالمين . قال آخر ممن جرّب الحشيش « رأيت غرفتي عظيمة الاتساع وما فيها من جماجم الحيوانات المعلقة على جدرانها ضخمة كأنها جماجم الحيوانات البائدة التي عاشت في العصور الخالية . وخيّل اليّ انني انظر اليها منذ سنين فتناولت ساعتي فعلمت انهُ لم يمرّ عليّ منذ شربت الحشيش سوى ٢٠ دقيقة وعلى اثر هذا العلم زال ذلك الوهم مني الى حين . ثم رأيت ساعتي تتسع وكأن صوت دقاتها صوت العالم كلهِ مجتمعاً فتناولت قلماً لعلّي اخطّ به بعض ما جال في خاطري فخانتني يدي وشعرت بان اصابعي كارجل الزيتلاء في دقتها فسقط القلم الى ارض الغرفة وسمعت لسقوطهِ صوتاً كقصف الرعد . وحانت مني التفاتة الى الشباك فرأيت الافق عظيم البعد مفعماً بدوائر من نور ونار وهي متشابكة يدور بعضها على بعض وما لبثت ان قذفت الى كبد السماء كأنها سهام نارية ثم هبطت في غابة من الاشجار فجعلت الاشجار تحترق واغصانها تلتفّ حتى ملأت الافق . فاجهدت نفسي لاعلم الوقت فرأيت انهُ مضى عليّ ٢٥ دقيقة منذ شربت الحشيش فصحت — ٢٥ دقيقة لا بل ٢٥ يوماً بل ٢٥ شهراً بل ٢٥ سنة بل ٢٥ قرناً بل ٢٥ دهراً . الآن اعرف ذلك كلهُ . لقد اكتشفت اكسير الحياة وسأعيش ابد الدهر . وكانت قلبي يدقّ سرعاً ودقاتهُ كانخفاض الجبال تحاولت عدّها حتى اذا عددت واحداً اثنين ثلاثة توهمت انها قرن وقرنان وثلاثة فصحت صيحة شديدة من تصوري اني عشت من الازل وسأعيش الى الابد في قصر اعمدتهُ وسقفهُ من عقيق وياقوت وزمرد والاعمدة ثابتة على بحر من الذهب

ثم جاءتني الخادم بالقهوة فرأيت كأن الفنجان مرجل كبير نقشت عليه صور التنانين اجمل نقش واخذ يسبح حتى احاط بالعالمين . ولاحت الخادم كأنها واقفة منذ ساعة وهي تبتسم حائرة لا تدري اين تضع القهوة لان الاوراق كانت متناثرة تملأ وجه المكتب . فازحت بعضها وشهقت شهقة بددت التنانين فامتلأ البيت روائح تساقطت كأنها رشّ مطر فوضعت الخادم القهوة فكان لصوت وقعها على المكتب رنة في كل عظم من عظامي كأنما عشرة آلاف مطرقة تعمل فيّ معاً . وظهر وجه الخادم مبتسماً حتى بلغ تجهم بالحزن ثم توارت كالبرق الخاطف فجعلت اصفق واصيح وسط الوف من مصابيح تبينتها فاذا هي نار حباحب فشربت القهوة فشعرت بحرارة لا تحتمل ثم نظرت الى ساعتي فوجدت انهُ مضى عليّ ٤٠

دقيقة منذ مضغت الحشيش . فنهضت الى سريري بعد الجهد الشديد لطول ساقي ولما اخذت انزع ثيابي طارت الى الفضاء فاضطجعت في سريري فاذا بهِ يمتدُّ حتى ملأ هو و بقية رحاب الارض كلها . وشعرت بعد ذلك بالم مبرّح لا يوصف و بأنَّ جلدي يخطر ذهاباً وايابًا على لحمي ورأسي قدم واتنفخ حتى بلغ حجماً كبيراً ثم انقدَّ جسمي شطرين من فوق الى اسفل . ولم يأتِ صباح اليوم التالي حتى عدت الى حالتي الطبيعية »

ومضغ طبيب الحشيش فقال انهُ رأى في جوفهِ الحشيش الذي مضغهُ فاذا هو شبه زمردة يخرج منها الوف من الشرر . وتمت احدابهُ بسرعة فلم يلبث طولها الدمين انقلبت كخيوط ذهب حول عجلات صغيرة من العاج كانت تدور مسرعة . ولاح اصحابهُ حولهُ كأنهم حيوانات نصفها نباتات . فانتصب من بينها كركيّ على ساق واحدة وخطب خطبة بالايطالية في الموسيقى فنقلها الحشيش بالاسبانية . وبعد هنيهة اشتدَّ سمعهُ حتى كان يسمع اصوات الالوان الاخضر والاحمر والازرق والاصفر . وخاف ان يتكلم لئلاَّ تتهدم الجدران وتنفجر القنابر القنابل . وسمع خمس مئة ساعة او اكثر تدقّ معلنة الوقت في حين ان لم يكن في الغرفة غير ساعة واحدة . وسبح في بحر من الصوت عامت عليهِ قطع موسيقى الاوبرا كأنها جزر من نور . وشعر وهو في البحر كأنهُ اسفنجة وكانت امواج البسط والانشراح تندفع عليهِ في كلّ لحظة فتدخلهُ وتخرج منهُ بطريق مسامّهِ . وظهر لهُ انهُ مرَّ عليهِ وهو على هذا الحال ثلاث مئة سنة . ولما فارقتهُ النوبة رأى ان زمانها الحقيقي لم يتم اكثر من ربع ساعة

هذا وقد سألنا بعض الذين دخنوا الحشيش مرة او مرتين في زمانهم فقالوا ان كل ما شعروا بهِ انشراح في الصدر وطرب كالذي يشعر بهِ شارب الخمرة لم يلبث ان انقضى باسرع مما اتى . على ان مدمني الحشيش يشعرون بانبساط يزداد بزيادة الادمان حتى لتدَّعيهم انهم ملوك على عروشهم . فمن كان منهم صاحب مزاج عصبي ميالاً الى اللهو والمرح والطرب والتحب ازداد ذلك فيهِ ومن كان ذا مزاج سوداوي ساكوتاً قليل الحركة غلبتهُ الكآبة واشتد سمتهُ ولزم مكانهُ لا يبرحهُ ولو مكرهاً فكأنهُ ينشد قول الشاعر

فقلتُ يمين الله ابرحُ قاعداً وان قطعوا رجلي لديك واوصالي